مؤسسة  الإعلامية

تقدمـ

عوامل النهوض وشروطه

للشيخ

أبي سعيد العاملي

للشيخ

مؤسسة الإعلامية

(حفظه الله)

أولاً : عقيدة صحيحة

ثانياً: جماعة صادقة وقيادة راشدة

ثالثاً: إعداد متواصل وامتلاك القوة

رابعاً: تمويل مستمر

إهداء

أهدي هذا المقال إلى جميع الإخوة المجاهدين المرابطين في ساحات القتال، منافحين عن دين الله تعالى ، مستجيبين لنداء ربهم ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾، ولنداء الله سبحانه ﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾.

إلى القائد الفذ، إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن لادن ونائبه الشيخ أيمن الظواهري وجميع جنود وأنصار قاعدة الجهاد في أفغانستان وباكستان ، الذين أسسوا أعمدة وقواعد الجهاد في هذا العصر، وصمدوا في وجه أعتى قوات الصليب وحلفائها من الشرق والغرب، الذين مرغوا وجوه أعدائهم في وحل الهزيمة والعجز والذلة، والذين أذاقوهم مرارة الهزيمة والألم في عقر ديارهم ، عبر سلسلة غزوات نوعية ، ما زال العدو يتألم من تأثيراتها ويحاول جمع شتاته واستجماع قواته.

إلى الإخوة الأحبة في بلاد أفغانستان وما جاورها ، وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر حفظه الله ونصره ، وجميع من بايعه وناصره على الجهاد في سبيل الله يبتغون الموت مظانة، يتربصون بأعداء الله ويقعدون لهم كل مرصد .

إلى الإخوة المجاهدين في الجزائر، ممثلين في قاعدة الجهاد – قيادة وقاعدة، أمراء وجنوداً، مجاهدين وأنصاراً – الذين يواجهون النظام المرتد العفن بكل أذنابه وأنصاره وتابعيه، يسطرون ملاحم من البطولة ويذيقون العدو مرارة الألم ، ماضون في جهادهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وهم مستقيمون على أمر الله.

إلى الإخوة الأعزة في بلاد الرافدين وإلى أمير المؤمنين الشيخ أبو عمر القرشي البغدادي حفظه الله ونصره، وأعزه بجنود أتوا من كل حدب وصوب، ملبين نداء ربهم ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾، باعوا الأرواح لمليكهم، وسطروا بدمائهم أعظم الملاحم في تاريخ الإسلام كله، يثخنون في جنود الصليب وأعوانهم من المرتدين صباح مساء، يشفون بذلك صدور قوم مؤمنين طالما انتظروا هذه الأيام، ويغيظون صدور قوم كافرين ومنافقين، ماضون في جهادهم وقتالهم لأعداء الله، لا يضرهم من خالفهم من المخالفين ولا من خذلهم من القاعدين والمنافقين ولا من عاداهم من الكافرين والمرتدين، حسبهم أنهم ينافحون عن دين الله وعن أعراض المستضعفين من المسلمين، ومنتهى غايتهم أن ينالوا رضوان ربهم، ويفوزوا بشهادة في ساحات الوغى تنقلهم إلى جوار ربهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وها قد كافأهم الله تعالى بفتح ونصر مبين، وتمكين في الأرض، فأقاموا دولة الإسلام وتحولوا إلى فئة كل مسلم في هذه الأرض.

إلى الإخوة المجاهدين الأبطال في بلاد القوقاز، الذين رفعوا راية الجهاد وسط بلدان الصليب والإلحاد، مسطرين أعظم الملاحم والبطولات، مواجهين أعتى وأقوى الجيوش المعاصرة، والتي أصبحت كالفئران في مواجهة عصابات الجهاد والاستشهاد، وعباقرة العبوات الناسفة وأسياد حرب المدن بدون منازع.

ها قد منّ الله عليكم بفضله وكرمه، فوفقكم لإقامة إمارة إسلامية تجمع كل المجاهدين من ولايات وأقاليم مختلفة، بعدما قدمتم التضحيات الجسام تمثلت في دماء أبنائكم وأموالكم وبيوتكم وأعراض نسائكم وأمنكم وأمانكم ، فأعلنتم بفضل الله وتوفيقه قيام الإمارة الإسلامية الشامخة وسط بلاد الصليب، فأسأل الله أن يثبتكم على دينكم وينصركم على أعدائكم.

إلى المجاهدين الكرام في حركة الشباب المجاهدين في الصومال التي أصبحت – بحول الله وقوته– شبه إمارة إسلامية بسطت نفوذها على ربوع كثيرة من بلاد الصومال وطبقت شريعته الغراء في كل المناطق المحررة، وما زالت أيديها على الزناد تقاتل الكفار والمرتدين لتعم الشريعة كل البلاد بعز عزيز وذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلاً يذل به الباطل وأهله من الكفار والمنافقين والمرتدين.

إلى إخواننا أسود باكستان في الطالبان المجاهدة، الذين يسعون بأموالهم وأنفسهم وأهليهم لتطبيق شرع الله عز وجل، ويقاتلون الأنظمة المرتدة العفنة المتعاقبة على حكم البلاد بتأييد من الصليبيين – وعلى رأسهم رأس الأفعى أمريكا–.

إلى كل المجاهدين الأخفياء في كل مكان ، الذين يتربصون بأعداء الله في كل موطن وحين ويقعدون لهم كل مرصد، يعدون العدة ويخططون للنيل من أعدائهم ، إعلاء لكلمة الله ونصرة لدين الله وانتصاراً أو ثأراً للملايين من المستضعفين من أمة الإسلام .

إلى كل المسجونين والمعتقلين في سجون الصليبيين والملحدين والمرتدين، في مشارق الأرض ومغاربها، يحتسبون ما أصابهم من قهر الأسر، يسبحون بحمد ربهم صباح مساء، وينتظرون فرجه في كل حين، ليعودوا إلى مواصلة ما أسروا من أجله.

إلى كل المطاردين والمهجرين في سبيل الله، أخرجوا من ديارهم بغير حق وبلا ذنب اقترفوه. ينتقلون بين شعب وآخر، يخافون أن يتخطفهم الأعداء من حولهم، فارين بدينهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، ويلتمسون أرضاً يعبدون فيها ربهم ويعدون فيها العدة لإخراج من أخرجوهم من ديارهم وأموالهم.

إلى كل هؤلاء وغيرهم كثير، أقول: اصبروا وصابروا ورابطوا ، فقد وضعتم أرجلكم في المسار الصحيح الذي سيوصل إلى تحقيق نصر الله والتمكين لدينه في الأرض، فإنما النصر صبر ساعة، وها قد لاحت في الأفق علامات هذا النصر العظيم في أفغانستان والعراق والصومال وبلاد القوقاز.

على المؤمنين أن يوطدوا أنفسهم ويعودوها على التضحية والفداء ومواصلة التعلق بالله عز وجل فهو الهادي والنصير. ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، رب المستضعفين وقاصم الجبارين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد النبيين وإمام المجاهدين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وبعد

فإن الزمن الذي نعيشه اليوم هو زمن الغربة الذي تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :" جاء الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي" أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وهو أيضاً زمن التقاعس والجمود للمسلمين، اتجاه ما يتعرضون له من حصار وحرب إبادة وتشويه لدينهم وقيمهم وكذلك ما يتعرضون له من سلب للخيرات وإفساد للأخلاق على أوسع نطاق.

من هنا كانت الضرورة ملحة للبحث عن وسائل ناجعة من أجل النهوض بالأمة، وهذه مهمة صعبة ومستحيلة على ذوي النفوس الضعيفة والهمم الهابطة، بينما تتحول إلى مهمة يسيرة وممكنة – رغم طول الطريق وكثرة التضحيات – على أصحاب النفوس القوية والهمم العالية، إن توفرت عدة عوامل أساسية، لابد من تجسيدها واقعاً وعملاً.

أولاً: عقيدة صحيحة

من الأسس الأولية لكل تجمع أو أمة ما، هو وجود عقيدة ومذهب تعتنقه ويكون مرجعاً لهـا في كل أمورها ، وتختلف العقائد والمذاهب من جماعة إلى أخرى، لكنها في نهاية المطاف مجمعة على ضرورة وجود هذه العقيدة التي تعتبر نبراساً لها في الطريق.

وأمة الاسلام قد أعزها الله وأنعم عليها بعقيدة التوحيد القائمة على توحيـد الله عـز وجـل بالربوبية والألوهية وكذلك توحيده في الأسماء والصفات ، والإيمان بأن الانسان قد خُلق لأداء مهمة العبادة ثم الخلافة في هذه الأرض وفق ما أنزله الله في كتابه على رسوله الخاتم محمد عليـه الصلاة والسلام.

والعقيدة لابد أن تكون صافية بحيث لا تشوبها شوائب البدعة والانحراف، ﴿*وأن هذا صراطي فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون*﴾.

﴿*قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين*﴾ ،

﴿*قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمـرت وأنـا أول المسلمين*﴾.

عقيدة تدعو صاحبها إلى التجرد لله في القول والعمل، وابتغاء رضاه ، ولو أدى ذلك إلى فقدان الغالي والنفيس أو النفس التي بين جنبيك.

عقيدة تدعو صاحبها بأن يدور مع الحق حيث دار، ولا يدور مع المصالح المادية أو المعنويـة إذا تعارضت مع شرع الله فالحق أحق أن يُتبع.

عقيدة التوحيد التي تجرد صاحبها من كل هوى ، وتهدم كل الأصنام التي تُعبد من دون الله، فيتحرر المسلم من كل القيود، وينطلق داعياً إلى الله على بصيرة، لا يضره من خالفه ولا من عاداه.

إن العقيدة المطلوبة هي التي تمكن المسلم من الثبات على الحق الذي يؤمن به، ويكون مستعداً للتضحية في سيل الحفاظ عليه ونشره بين الناس.

العقيدة الصحيحة تكون أولاً في مسألة الحكم ، فالله تعالى هو المشرع وهو الحاكم والآمر والناهي ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ، ويقول سبحانه مستنكراً على الذين يرضون أن يشرعوا من عندياتهم أو ينصبوا من يفعل ذلك نيابة عنهم ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الذين ما لم يأذن به الله﴾ وفي قوله سبحانه ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ دليل على نفي صفة الإيمان عمن لم يحكم شرع الله في شأن من شؤونه أو لمجرد عدم الرضا بحكم الله فيه.

فالآيات كثيرة ومتواترة في هذا الباب ، كلها تدل على أن الحكم والتشريع حق خالص لله تعالى لا يمكن ولا يجوز لأحد أن ينازعه فيه، وكل من فعل ذلك فقد نصب نفسه إلهاً من دون الله أو شريكاً معه في الملك.

وهنا وقفة لابد منها حتى تتبين الأمور جلية صافية لكل من يريد أن يحمل أمانة الدعوة ونشر هذا الدين، أن يكون على بينة من الأمر فلا يداهن في دين الله ولا يرضى أن يتحاكم إلى غير شرع الله في كل صغيرة وكبيرة، فما بالك بالمشاركة في تشريع قوانين مخالفة بل مناقضة لدين الله أصلاً ؟؟

والكلام هنا موجه إلى تلك الجماعات التي رضيت لنفسها أن تشارك فيما يسمى باللعبة السياسية ثم السعي إلى دخول مجالس التشريع والمشاركة الفعلية في حكومات مرتدة، بحجة الدفاع عن الدين وتطبيق جزء منه بدل تضييع الكل.

وهذه لعمري حماقة زيادة على أنها خروج من دين الله تعالى دون إكراه أو خطأ أو نسيان، فكل الأعذار الشرعية غائبة في هذا الباب ، لأن المسائل أكبر من أن يكون فيها اجتهاد أو لبس أو تأويل، فالنصوص كلها تقرع الآذان ولو كانت صماء وواضحة للعيون حتى لو كانت عمياء، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ثم لابد من صفاء العقيدة في مسألة الولاء والبراء، فلا يكتمل إيمان المرء حتى يعادي في الله ويوالي في الله، يحب المرء لا يحبه إلا لله ويبغض المرء لا يبغضه إلا لله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين.

ومن هنا يمكن أن نقيس على أمور أخرى لابد للمؤمن أن يراعي فيها عقيدة الولاء والبراء، في تعامله مع الناس ومع الأحداث، فلا يمكن أن يوالي أعداء الله ولا يستعين بهم ولا ينضم إلى نواديهم وتجمعاتهم حتى وإن جلب ذلك بعض المصالح الآنية الموهومة. لأنه ما بُني على حرام لن يجلب إلا حراماً.

فموالاة الكفار الأصليين والمنافقين والمرتدين محرم قطعاً ولا يجوز بحال محاولة البحث عن مسوغات سياسية أو اقتصادية أو غيرها من أجل استحلال ذلك أو تجويزه ولو لعرض قصير.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة ٢٢]

وعليه فإنه لا يجوز مثلاً محاولة المشاركة معهم في أعمالهم السياسية أو التشريعية حتى ولو منحونا المناصب العليا والمقاعد المتقدمة في هذا الباب.

ومن هنا أيضاً ينبغي على كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتبرأ من قوانينهم الوضعية الكفرية ولا يستسيغها ولا يلجأ إليها مهما كانت الدوافع والأسباب.

وهناك ثغرات كثيرة وشبهات عديدة يضعها الشيطان في طريق المؤمن لكي يحيد عن هذه الشعيرة العظيمة، فيسقط بذلك في متاهات تقوده إلى تنازلات عديدة في دينه وتراجعات عن مبادئه ومنهجه يحسبها خير وهي كلها شر.

من هذه الثغرات مسألة الرزق، كما أنه لا يخشى الفقر الذي يقعد المرء عن أداء واجباته، بل هو على يقين بأن الله رازقه وبأنه لن يستوفي أجله حتى يستوفي ما كتبه الله له من رزق.

ومنها الخوف، فالمؤمن لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا ينتظر جزاء من أحد كما لا يستعين بأي مخلوق في السراء ولا في الضراء، فالعقيدة الصحيحة تزرع في قلب المسلم الشجاعة وعدم الخوف من بطش الظالمين، لأنه يعلم علم اليقين أن لا ضار ولا نافع إلا الله، فمهما حاول عبد أو جماعة أو الدنيا بأكملها البطش بك أو إلحاق ضرر بك فلن يستطيعوا إلا إذا أذن الله بذلك ، وبذلك لا يتسرب الخوف إلى قلب المؤمن بل يمضي في يقين يواجه كل الصعاب باستعلاء. وأكثر من هذا فإن المؤمن يستشعر معية الله تعالى معه، ويؤمن بأنه منصور ، فقوة الله تعالى لا يغلبها أحد، وبالتالي فإنه يشعر بالأمان والطمأنينة، فالله ناصره وحاميه.

أما إذا لحق به ضرر فإنه يؤمن بأن فيه حكمة، فإما للتمحيص أو لتنقيته من الذنوب أو هو جزاء طبيعي يدفعه المؤمن ثمناً لبعض ذنوبه وأخطائه.

وكذلك النفع، فإن الله هو النافع وحده، يرزق من يشاء متى شاء وكيفما شاء، بسبب وبغير سبب، وعليه فإن المؤمن يدرك هذه الحقيقة الربانية فلا يداهن أعداء الله ولا يتنازل عن دينه مقابل أجر مادي أو مصلحة عابرة، لأنه يعلم علم اليقين أن الله هو الغني وهو الرزاق ذو القوة المتين.

ومن العقيدة المغيبة في نفوس المسلمين هو الإيمان بأن النصر من عند الله، فالله هو الناصر والنصير لعباده المؤمنين ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾.

وحينما تثبت هذه العقيدة في نفوس المؤمنين وتتجذر فإنهم سيبحثون عن الأسباب التي تحقق هذا النصر، وهي أسباب تعبدية يتقرب بها المؤمن إلى ربه، ولا يمكن أن يبحث عنها عند جهات أخرى مهما بلغت قوتها وكثر عددها.

فالمؤمن الصادق يثق في ربه وحده ويرجو رحمته وينتظر نصره ومدده، وبالتالي تراه يحرص على عدم الوقوع في شرك الاستعانة بغير الله عز وجل ، أو طلب العون من غيره مقابل التنازل عن جزء من دينه ومبادئه، وهذه صورة نراها كثيراً هذه الأيام ، حيث أصبح النصر لدى البعض غاية وهدف في حد ذاته حتى لو كان على حساب عقيدتهم.

فالنصر مجرد وسيلة لتحقيق شرع الله وبسط نفوذه على الناس، وهو وسيلة لإزالة العقبات المادية المتنوعة التي تقف حائلاً بين الدعاة وبين الناس لكي يبلغوا رسالة ربهم.

ثانياً: جماعة صادقة وقيادة راشدة

حينما تتوفر هذه العقيدة الصافية في نفوس أفراد رغم قلتهم، فإنهم يمكن أن يجسدوا التجمع المؤمن الذي ينصر الله به دينه، هذا ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم حينما بعثه الله إلى الناس، لقد اختار مجموعة من المؤمنين غرس في نفوسهم العقيدة الصحيحة الخالية من كل الشوائب، وأخذت العملية الوقت المناسب حتى تنضج الثمرة على أحسن وجه.

فالاسلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا ضمن تجمع مؤمن يستقيم على أمر الله، ولابد أن تتوفر في هذا التجمع عدة صفات لكي يكون مؤهلاً لحمل أمانة التغيير والنهضة المرجوة.

فصفاء العقيدة يأتي على رأس هذه الصفات والشروط، إذ لا يمكن أن يجتمع أفراد على طاعة الله ورسوله إذا كانت عقيدتهم مختلفة أو فيها دخن.

- الإخلاص

ومن صفاء العقيدة أن يتوفر الإخلاص في العمل، فلا يكون انتماء الفرد للجماعة بناءاً على مصالح أو أهداف شخصية أو تلبية لأهواء النفس، فالهجرة لابد أن تكون إلى الله ورسوله وليس ابتغاء أجر دنيوي.

فلابد من تصحيح الانتماء لهذا الدين ابتداء، لكي تتضح لنا الغاية والوجهة التي نريد الوصول إليها.

أن يكون انتماؤنا بهدف نصرة الدين ونشر عقيدة التوحيد ولو أدى ذلك إلى التضحية بكل ما نملك. فنحن مجرد وسائل سخرها الله من أجل تحقيق عبوديته في الأرض ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

والإخلاص عنصر أساسي ينبغي توفره في القيادة والجنود على حد سواء، وقبل الحديث عن القيادة الراشدة لابد من الحديث أولاً عن الجنود فهم أساس الجماعة الذي يحمل البناء المرتقب.

- جنوده أشداء على الكفار رحماء بينهم

لا يمكن أن نجد تعبيراً أدق وأشمل وأصدق للحالة التي ينبغي أن يكون عليها أفراد التجمع الإيماني، فالتعبير القرآني تعبير إنشائي وهو في الوقت ذاته أمر للمؤمنين أن يجسدوه واقعاً في حياتهم الدعوية والجهادية.

فالشدة تقابلها الرحمة، وليس هناك ثمة تناقض بل هو تكامل وشمولية في الخُلق والتعامل مع الغير. الشدة في مواجهة أعداء الدين وأعداء الحق بل أعداء الإنسانية، والذي يُعتبر حصن منيع للتجمع الإيماني، في مقابل الرحمة بين المؤمنين والذي يُعتبر عنصر قوة ومدد روحي يزود التجمع بالمناعة اتجاه الأطراف المعادية.

فلا يمكن للتجمع أن يصمد اتجاه المخاطر الخارجية والداخلية بدون وجود هذا التلاحم وهذه الرحمة وهذا الإيثار بين أفراده.

أفراد التجمع كتلة واحدة، كل عضو له مكانته وقيمته – كالجسد الواحد –، لا يمكن أن نستغني عن عضو من الأعضاء كما لا يمكن لعضو أن يعمل خارج النظام الذي جبله الله عليه وإلا حدث خلل في الجسم ، والنظام الذي ينبغي السير عليه في التجمع الإيماني هو ما فرضه الله علينا من طاعته وطاعة أولي الأمر منا في المعروف، وأن لا نخاف في الله لومة لائم إذا ظهر لنا ما يخالف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالجنود هم بمثابة الحراس الأمناء للتجمع الإيماني من الزيغ عن الحق

– قيادة راشدة

فإن كل تجمع يسعى إلى إقامة شرع الله في الأرض وتحقيق العبودية لله عز وجل لا بد أن يخضع هو الآخر لهذه السنن، ولابد بالتالي من وجود قيادة أو إمارة يكون دورها هو التنسيق والتسيير والتدبير لكي لا تبقى الأمور هدراً ومن ثم يؤدي بها الأمر إلى التصادم مع سنن الله تعالى في هذا الكون، ولا يحقق التجمع أهدافه التي قام من أجلها.

فالحديث عن ضرورة وجود قيادة صالحة للجماعة المسلمة كالحديث عن ضرورة وجود رأس للجسد، فهي من البديهيات التي لا يمكن أن يختلف عليها أو ينكرها عاقل، فضلاً عن عامل لدين الله يبتغي ويسعى لإقامة شرع الله في الأرض.

ينبغي على القيادة المسلمة أن تكون على مستوى عال من الالتزام بالمبدأ، والثبات والاستقامة عليه حتى وإن بقيت وحدها في الصف في مواجهة الأعداء، وهذه هي الخاصية الأساسية التي لابد من توفرها ابتداء، وبها تتميز القيادة عن غيرها من الجنود.

والقيادة لابد أن تنبعث من وسط التجمع الإيماني لكي تكون مزكاة من طرف هذا الأخير وليست من خارجه.

كما يتعين على المنتمين للتجمع إعانة قياداتهم بالنصح أولًا ، فهم يعتبرون المرآة لهذه الأخيرة والضمير الحي الذي يشحذ الهمم، فحتى القيادة بحاجة إلى من يعلي همتها ويعينها على تجاوز كل المثبطات التي تقف في طريق كل مؤمن فضلاً عن المؤمن القائد.

والقيادة لابد لها من أنصار لا يخافون في الله لومة لائم، يقومون بدور المراقب والحارس لحدود الله في التجمع، حتى تحس القيادة بأن هناك من يحمي التجمع من التمييع والانحراف، وأن الجنود يقظين ودائماً في انتظار أوامر جديدة لإحقاق الحق دون تقديس للأشخاص.

فالذي تتميز به هذه الطوائف والجماعات هو ذلك الالتحام المتين بين القيادة والقاعدة على كل المستويات، فلا تكاد تلحظ الفرق بينهما، حيث أن الجميع منصهر في بوتقة العطاء والتضحية، لا همّ لهم سوى خدمة هذا الدين، سواء كانوا في موقع القيادة أو الجندية، لا فرق عندهم ما دام أن عملهم يصب في خدمة مبادئهم وليس في خدمة مصالحهم الشخصية، فالقيادة هي التي تضحي وتعطي أكثر، وهي التي تكون عرضة للمخاطر أكثر من غيرها، لذلك ترى الجنود يتهربون من تقليد مناصب القيادة حتى وإن كانت لديهم الكفاءات اللازمة لذلك، بعكس التجمعات الجاهلية حيث نرى التنافس على أشده بين أفرادها للوصول إلى مناصب القيادة ما دام أن ذلك هدفاً في حد ذاته وليس وسيلة لخدمة المبادئ كما هو الشأن في التجمعات التي تسعى لخدمة الحق.

فجماعات الحق مستهدفة من قبل أعدائها، حيث يسعى هؤلاء إلى ترويضها واحتوائها في بادئ الأمر، ثم حينما يفشلون في ذلك يسعون إلى إبادتها بالكامل، والقيادة هي المستهدفة الأولى في هذه العملية، وهذا ما نشاهده اليوم في هذه الحرب الصليبية الجديدة ضد أهل الحق، سواء في أفغانستان والعراق والشيشان أو على أرض فلسطين والجزائر وباقي مواطن الجهاد والصمود في بلادنا الإسلامية.

والواجب على قواعد الأمة قاطبة أن تسعى إلى تجسيد هذا التلاحم المتين بينها وبين قياداتها والمحافظة عليه، حتى يستمر وتستمر معه عملية الجهاد والمقاومة لكل محاولات التمييع والطمس والتغريب.

قد تكون هناك قيادة صالحة وقاعدة فاسدة، وهي الحالة الأكثر شيوعاً في مجتمعاتنا والتي يسعى الأعداء إلى ترسيخها والإبقاء عليها، وذلك بعزل القيادات الصادقة عن الجماهير، إما بالتهجير أو الطرد أو السجن أو التصفية الجسدية، وهذا ما نراه جلياً في هذه الحروب القائمة، سواء مع اليهود والنصارى مباشرة أو مع أعوانهم من الحكومات المرتدة والجيوش المنافقة والعميلة من أنصارها.

لابد أن نسعى ابتداء إلى إزالة هذه الغشاوات عن عيون الناس، وكسر كل الحواجز التي تقف بين هذه القيادات وبين القواعد الغافلة السائرة وراء سياسات الأعداء.

إن روح الانهزامية والانزواء واعتزال المعركة لدى جماهير أمتنا، قد أشربتها منذ عقود من الزمن، وبعد سلسلة من البرامج التربوية المتواصلة، أُنفقت فيها طاقات مادية هائلة، وكانت أنظمة الردة هي اليد المنفذة لهذه البرامج ولا تزال، للإبقاء على أبناء الأمة خارج حلبة الصراع، بل لا يدركون أن هناك صراعاً أصلاً بين الحق والباطل.

وفي أحسن الحالات، ولدى الذين يحسبون أنفسهم أنهم على شيء، تجدهم يعيبون كل مبادرة ويرفضون كل عملية نهوض، ويهربون من كل المسؤوليات، بحجة أن القيادات ليست في مستوى تقليد المهام، ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ

الْمَالِ ﴾ [البقرة ٢٤٧]، إنها والله السنن، "لتتبعن سنن الذين من قبلكم قبلكم حذو القذة بالقذة " كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كانوا من قبل يطلبون ويدعون الله أن يبعث من يقودهم ليتخلصوا مما هم فيه من الذل والهوان ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [البقرة ٢٤٦]، أو بلسان العصر: متى تظهر جماعات الحق لننتمي إليها ونكثّر سوادها ونكون من جنودها المخلصين، ولكن حينما تظهر هذه الجماعات وتتقدم الصفوف وتنادي الناس للانضمام إليها، يخرج علينا هؤلاء ليسلقوها بألسنة حداد: من خوَّلهم التحدث بأسمائنا؟ ومن أعطاهم الصلاحيات لتقدم الصفوف؟ وهل لديهم الكفاءات اللازمة والمطلوبة لتقليد مناصب القيادة؟ وهل لديهم العلم الشرعي المطلوب لإصدار هذه الفتاوى والقيام بهذه الأعمال؟ وغيرها من الحجج الواهية والأعذار الشيطانية. تماماً كما قالت بنو إسرائيل من قبل ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ ولكن بلغة مختلفة ومن زاوية أخرى.

هاهي القيادات الراشدة قد بعثها الله لتقود الأمة في صراعها مع الأعداء، فهاهو الشيخ الشامخ المجاهد أسامة بن لادن قد التف من حوله الغرباء في الأرض، الفارين بدينهم، الذين يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والشيخ أسامة قد جعل الله له القبول في أوساط المسلمين بعامة وفي وسط الشباب بخاصة، فلمَ التردد للانضمام إلى صفوفه ؟ ولم التثاقل إلى الأرض وخشية الناس كخشية الله أو أشد ؟

لابد من كسر قيود التردد والحيرة، ولابد من قطع حبال التثاقل إلى الأرض طمعاً في متاع دنيوي زائل قد يكون ملوثاً بشرك خفي أو كفر بواح.

ثم هاهي في أفغانستان متمثلة في حركة طالبان وأميرها التقي الورع الصابر المحتسب الملا عمر مجاهد، هاهو قد توفرت فيه كل صفات القيادة الراشدة التي يتمناها الجنود ويخشاها الأعداء، الصرامة والحزم والشدة في دين الله، والثبات على المبادئ في أجل صوره، والتضحية بالجاه والسلطة في سبيل إرضاء الله عز وجل.

وهاهي القيادة الراشدة في بلاد الرافدين قد شقت الطريق رغم وعورته وحطمت السدود رغم صلابتها وتجاوزت الحدود رغم كثرتها فأقامت دولة الإسلام المرتقبة التي طالما حلم بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وما زالت تكمل بناء لبناتها وتثبت أركانها لكي لا يقوى الأعداء على زعزعتها.

هاهو الأمير الرباني المجاهد أبو عمر البغدادي ينادي أهل الاسلام بدخول العراق والمشاركة في تشييد هذا البناء المبارك ثم المحافظة عليه ليكون منطلقاً نحو خلافة عالمية رائدة، تنشر نور التوحيد في ربوع الأرض قاطبة كما فعلت دولة الاسلام من قبل على أيدي أجدادنا من الصحابة والتابعين الكرام.

وهناك قيادات أخرى في مواقع أخرى من عالمنا الإسلامي، قد فتحت جبهات قتالية مع الأعداء، وعلى المسلم أن يلتحق بالجبهة الأقرب إليه ويبايع على الجهاد في سبيل الله لقتال أعداء الله إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل، ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء- ٨٤].

وحينما يظهر صدق هذه القيادات في الساحة بالبذل والعطاء وصدق المواقف والثبات على المبادئ والابتعاد عن الشبهات وإغراءات الطاغوت ، لا تجد هذه القواعد – حينئذ – سوى اللجوء إلى أساليب التسويف والتماطل ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾.

وهي أساليب الجبناء، ووسائل للهروب من المواجهة واستحباب للذل والهوان والحرص على أي حياة.

هذا هو المنطق الغالب في الساحة، حتى لدى الكثير من أبناء الحركات الإسلامية – مع كامل الأسى والأسف –، ويظل من يكذّب هذه الطوائف المنصورة أكثر ممن يصدّقها، ومن يخذلها أكثر ممن ينصرها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وتظل هذه الطوائف وهذه القيادات بالرغم من كل هذا، منصورة من قِبل الله عز وجل ثم من قِبل أنصارها بالرغم من قلة عددهم،

يشقون طريق النصر ويحفرون خنادق المواجهة ليتحقق النصر والفتح على أيديهم كما وعد بذلك رب العزة ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤٧].

ثالثاً: إعداد متواصل وامتلاك القوة

لما كان لكل عمل أسبابه ومقدماته، فإن العمل لدين الله تعالى والسعي لتحكيم شرعه ومحاربة أعدائه يحتاج – من باب أولى – إلى مقدمات وشروط اصطلح عليها شرعاً بالإعداد، لقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُم ﴾ [الأنفال ٦١].

وقد اختلف الكثيرون في كيفية الإعداد، كل على حسب فهمه للتغيير المطلوب، فمن الناس من يرى أن الإعداد ينبغي أن ينحصر في الجانب التربوي وذلك بإخراج أفراد مؤهلين أخلاقياً وسلوكياً، وهذا في زعمهم كاف بإحداث التغيير المطلوب دون اللجوء إلى الأنواع الأخرى من الإعداد.

ومن الناس من يرى أن الإعداد هو معناه الدخول في بعض المؤسسات القائمة أصلاً ومحاولة التغيير من داخلها، حتى يتجنبوا الخسائر المادية والبشرية.

وهناك من يرى أن الإعداد يتجلى فقط في امتلاك الرجال والسلاح لخوض غمار المعارك مع العدو دون السعي إلى إيجاد ما يلزم من مؤسسات تابعة أو مساعدة للجانب العسكري.

وقسم آخر يؤمن بالاكتفاء بالتربية النظرية وانتظار منادي الجهاد، ثم يلتحقوا بالصفوف يومئذ، دون الإعداد العملي لهذا اليوم، وهؤلاء يكذبهم الله تعالى في ادعائهم هذا حيث يقول ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾[التوبة].

وهكذا تتشعب الآراء والمذاهب حول الإعداد، ولأهمية الموضوع سأحاول الوقوف على بعض الشبهات المطروحة حوله، دون تفصيل الأدلة الشرعية على وجوب الإعداد شرعاً وحتميته واقعاً، لأن البحوث فيه كثيرة تغني وتشفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

- اعداد معنوي ونظري

فالإعداد يحتاج إلى جمع الجهود ووضعها في المكان المناسب، والمطلوب إعداد محكم شامل، ومنه الإعداد المادي الذي يشكل الجانب الرئيس لمن تأمل واقع هذه الحكومات المرتدة وأسيادها الصليبيين واليهود، حيث أنها لا تؤمن بالحوار ولا بالحلول السلمية، كما لا تدع مجالاً لخصومها بنشر الدعوة والتحرك بكل حرية في الساحة، مما يؤكد أن ضرورة امتلاك القوة أو حق القوة هو من أولى الأولويات في عملية الإعداد.

والإعداد النظري يُسمى عندنا إعداد إيماني، حيث ينبغي الارتقاء بالفرد المسلم إلى درجة عالية من الإيمان حتى يستلذ الابتلاء في سبيل الله ويعتبره نعمة من الله تعالى ودليل اصطفاء. ثم يملأ قلبه بالشكر والرضى بما يصيبه في هذه الحياة الدنيا فيستوي لديه الخير والشر من الابتلاء ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾.

كما ينبغي أن يعتبر نعم الله عليه فتنة وامتحان لإيمانه، أيشكر ربه عليها أم يكفر، وليس علامة من علامات الاصطفاء كما يعتقد الكثير من الناس ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ [الكهف ٣٤].

كيف يتم الاعداد؟

اعلم أن عملية الإعداد لا تتم في السراديب، وإنما تتم في واقع، فهناك من الأعمال ما هو داخل في الإعداد لا يمكن أن تقوم بها إلا علناً، ولكن الكثير بل الجزء الأكبر يجب أن يكون

سراً، ولا يمكن للعدو أن يعلم به، ولسنا من دعاة الاستعجال أو استفزاز العدو ليقحمنا في معارك جانبية وهامشية لا مصلحة لنا فيها، فيجب علينا أن نعلم متى نخرج للمعركة وفق مقوماتنا ووفق برنامج يتوافق وإعدادنا، هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية والواقعية فأحياناً يصعب عليك تطبيق برنامجك، وتجد نفسك مضطراً إلى اتخاذ بعض المواقف العملية علناً، التي من شأنها أن تكشف أموراً، فالمسيرة لابد أن يكون فيها خسائر، لأن الطريق مفروش بالأشواك والعقبات وليس بالورود.

ومن يظن أنه سيقطع كل أشواط الإعداد دون أن يُعرف أو يتنبه العدو لبعض تحركاته ويكشف بعض مواقعه، فهذا غافل عن سنن الله في الدعوات، وعليه أن يبحث عن عالم آخر يتحرك فيه، وسنن أخرى لدعوته الغريبة.

- **اعداد للجنود والدعاة**

أقول : فأما الإضرار بالدعوة فقد سبق أن تحدثت عنها سابقاً وقلت إن الدعوة تنشط أكثر وبصفة فعالة حينما يكون التجمع في مرحلة الابتلاء والتمحيص وليس العكس، لأن الذي يلتحق بالتجمع حينئذ يعلم يقيناً ما ينتظره في الطريق، وسيخلو التجمع من كل عناصر النفاق والضعف، كما كانت المرحلة المكية بالنسبة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث لم يكن هناك نفاق ولا منافقون.

أما تكوين القاعدة، وهي القاعدة الصلبة التي ستتحمل البناء فيما بعد، فهي الأخرى لا يمكن أن تتم وتتأسس إلا في مدرسة التمحيص والابتلاء ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون ﴾[العنكبوت ١] ، أما بناء القواعد في الرخاء وسعة الأمر فينتج عنه البناء الغثائي كما هو واقع حالنا اليوم، حيث أن الأعداد هائلة ولكن الإنتاج ضعيف إن لم أقل منعدم، إلا لدى التجمعات التي توجد في مراحل الابتلاء والتمحيص والمواجهة مع العدو.

وخير شاهد على هذا هو واقع الحركات الإسلامية المتباين، فقارن على سبيل المثال ما تعيشه كل الحركات المتواجدة في الساحة والتي تتبنى العمل السياسي وتهرب من التصادم مع

السلطات القائمة، بل تعتبر هذا الصدام من المحرمات، قارن واقعها وحالها مع حالة الحركات الجهادية التي تبنت خط الجهاد والصدام مع هذه الأنظمة، لتجد الفارق الكبير بينهما وذلك على مستوى التكوين والعطاء والتقدم لخدمة هذا الدين.

إن القاعدة العريضة الحقيقية لا تنشأ في فراغ أو خلال التربية النظرية، بل وسط ألغام الابتلاء والتمحيص والحركة، فمن الذي يخيف العدو يا ترى؟ ألوف مؤلفة من القاعدين أم عشرات من المتحركين؟ انظروا إلى واقعنا لتدركوا هذه الحقيقة الناصعة، جماعات تُعدُّ بالألوف إن لم أقل بالملايين لا يعبأ لها الطاغوت ولا يأبه لها بسبب منهجها المسالم وطريقتها الموافقة لقوانينه وشرائعه، بينما جماعات الجهاد التي يُعدُّ أفرادها بالعشرات تُسخَّر لها كل الطاقات لتتبع آثارها من أجل حصارها ومحاربتها ليل نهار.

بل إن العالم بأكمله قد أجمع أمره وتناسى خلافاته وخصوماته، وسن قوانين وأبرم اتفاقيات من أجل محاربة"الإرهاب" و"الإرهابيين "، وما الإرهاب المقصود إلا الجهاد وما الإرهابيون في عرفهم سوى المجاهدون، فهل من معتبر؟

ومن هنا تزداد قناعتنا بأن ما عليه المجاهدون اليوم هو الحق، وبأن طريقهم هو الذي سيوصل إلى سخط الطواغيت وإرضاء الله عز وجل.

وهذا هو الصنف من الرجال الذين ينبغي تكوينهم وتربيتهم ومن ثم الزج بهم في المعارك مع الأعداء.

- اعداد البنيات التحتية

العمل من أجل تغيير الواقع أمر يحتاج إلى قواعد كثيرة تكون بمثابة الزاد الذي يرجع إليه المجاهدون والملاذ الآمن الذي ينطلق منه الجنود لتنفيذ مهامهم.
والحرب مع الأعداء كر وفر وهذه القواعد ضرورية لحماية ظهرك من العدو واللجوء إليها لمزيد إعداد وتدبير للأمور بعيداً عن أعين العدو.

والجماعة المجاهدة لابد أن تكون طموحاتها كبيرة بقدر الدين العظيم الذي تحمله وتسعى لتطبيقه في الواقع، لذلك فهي مطالبة بتوفير كل مستلزمات هذه المهمة الكبيرة والثقيلة.

اللبنة الأولى والأساسية التي ينبغي إيجادها هي المرأة الصالحة التي يقع على عاتقها الحمل الأكبر في عملية التربية والتكوين والتوجيه والدعوة والجهاد.
فمن الواجب التركيز على تربية نساء المجاهدين تربية شاملة وصحيحة لكي يُخرجن لنا الأجيال المناسبة والمطلوبة، فالمرأة تعتبر الركيزة الأساسية في عملية التربية والتكوين.

كيف لا وهي الأم التي تربي الجيل الصاعد على مبادئ الاسلام الصافي النقي، وتغرس في أطفالنا القيم العالية والاخلاق الراقية وهو الزاد الأساسي لتكوين الشخصية المجاهدة.

وهي كزوجة تقف إلى جانب زوجها تحمل عنه أعباء البيت والأولاد ليتفرغ هو لأعباء الدعوة والجهاد، وزيادة على هذا تقدم له كل الدعم المعنوي والمادي فتعبئ له الطريق ليركز على أهدافه الجهادية فتكون النتائج مبهرة بإذن الله.

وهي كأخت تقف إلى جانب أخيها تساعده على أعباء الدعوة والجهاد في تعبئة النساء والقيام ببعض المهمات الجهادية التي لا يقدر عليها إلا النساء، وبهذا يحصل التكامل في ميدان الدعوة والجهاد.

على الجماعة المجاهدة بعد ذلك أن توفر مدارس خاصة ومستقلة لتربية وتكوين النشئ الذي سيحمل أعباء الدعوة والجهاد في بضع سنين، ولا ينبغي أن تكتفي بالجنود المتوفرين لديها الآن، فالجهاد يستهلك الرجال ما بين الشهادة والاعتقال، وعليه فإنه من الضروري والواجب إعداد الأجيال التي ستأخذ الراية من بعد هؤلاء.

كما ينبغي تأسيس مدارس ومعاهد لإخراج الدعاة والمربين يكونون من داخل الجماعة، لم يتأثروا بالمحيط الفاسد من حولهم ولم يشربوا من نبعه الملوث كذلك، بل شربوا من نبع الإسلام الصافي وتخرجوا من مدرسة الابتلاء والتمحيص والحصار والغربة .

كما أنه لابد من تكوين أبناء الجماعة تكويناً شاملاً ومتشعباً بحيث يكونون قادرين على تسيير أمورهم الدنيوية في مجال الصناعات الخفيفة وكذلك في مجال الإلكترونيات والإعلاميات ودراسة اللغات الأجنبية لكي يكون لديهم اكتفاءاً ذاتياً في جميع المجالات والعلوم التي يحتاجها الجهاد.

كما ينبغي امتلاك أماكن للتدريب لكل الفئات وجميع فنون الرياضة والقتال، بدءاً بقاعات الرياضة البدنية وبخاصة فنون القتال للنشئ الصاعد وانتهاءاً بمعسكرات تدريب حقيقية على فنون القتال وشتى أنواع الأسلحة الموجودة في الساحة.

فإعداد الفوارس والجنود يتم أولاً عبر مراحل التدريب والإعداد الأولي ثم ننتقل بعد ذلك إلى التطبيق العملي على أرض المعارك حيث الجبهات مفتوحة بين جنود الحق وجنود الباطل، وهناك يتم التكوين الصحيح والإعداد الحقيقي بكسر حواجز الخوف وهيب العدو وخشية الموت، حيث يرتقي المجاهدون ويقطعون أشواطاً كبيرة نحو النصر المرتقب.

يتبين لنا في الختام أن إعداد الرجال هو من أهم الركائز لعملية النهوض المنشودة، فبالرجال يمكن تعبيد الطريق وإزالة العقبات المادية . نعم ، فبالرجال يمكننا هدم الجبال وتحقيق المحال .

فهم رأس المال الحقيقي لكل تجمع إيماني، فلنحرص على تربيتهم وتكوينهم وإعدادهم وفق ما تتطلبه المراحل القادمة، فوالله لا أرى سوى الملاحم والمحن في الأفق القريب والبعيد.

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج ٤٠].

رابعاً: تمويل مستمر

لا معنى لجهاد بدون مال، بل لا جهاد أصلاً إذا لم تكن هناك أموال تغطي حاجياته المختلفة، ولا ضير ولا غرابة أن نجد الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس في كتاب الله عز وجل ﴿جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾، وقوله تعالى ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾، وقوله عز من قائل {انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}، وغيرها من آيات الجهاد وقد ورد فيها الجهاد بالمال قبل الجهاد بالنفس.

لقد أخذ الجهاد أشكالاً متعددة وغطى جوانب شتى، وكل مرحلة من مراحله تتطلب تكاليف مادية مستمرة، فلا يمكن أن يتحرك المجاهد بدون هذا السند المادي.

ففي مرحلة الإعداد مثلاً يكون المجاهدون في حالة تفرغ وتركيز على مسائل الاعداد والاستعداد للمعارك ومن غير الطبيعي أن تطلب من هؤلاء المجاهدين تدبير الإمكانيات المادية لتغطية هذه التحركات، بل لابد من وجود فرق خاصة مختصة في جلب الأموال .

ومصادر التمويل لابد أن تكون متعددة وغير مترابطة فيما بينها لضمان الاستمرارية، كما أنه لابد من وجود سرية وكتمان في عملية التمويل، لأن العدو يسعى دوماً إلى كشف ظهر التجمعات الجهادية لكسره أو حصارها ليشل حركتها لكي تظل ضعيفة وحبيسة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما " بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له ، و جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل و الصغار على من خالف أمري ، و من تشبه بقوم فهو منهم ". [1]

فقه الجهاد من الأمور التي هُجرت وحُرّف مفهومها وغُيب تطبيقها على أرض الواقع، وصار من صفحات ماضينا، نذكره في السير لأبنائنا – هذا إن كنا فاعلين – بينما أعداؤنا يطبقونه علينا ليل نهار ونحن به راضون ومقرون.

ندفع له فواتير الذل والهوان من أموالنا وأرزاق أبنائنا وخيرات بلداننا من المحيط إلى الخليج، ولا من يحرك ساكناً، بل لا أحد يدرك أصلاً انها غنائم وفيء بدون حرب ، فالعدو يكتفي برفع عصاه النووية أو العسكرية التقليدية أو عصاه المسماة بالحصار الإقتصادي أو العصا الجديدة التي تُعتبر آخر صرعة في هذا المجال وهي عصا تهمة الإرهاب أو مساندة الإرهاب، يكفي أن يرفع إحدى هذه العصي لكي يحصل على كل ما يريد وزيادة.

كل هذا يحصل ونحن محاصرون بل ومحتلون في أغلب بلداننا، وحينما يقوم المجاهدون بدفع هذا الصائل المحتل ومحاولة استرداد بعض من خيراتنا المنهوبة، يقوم الطابور الخامس من علماء النفاق والسلطان ليتحدثوا عن التسامح وترك العنف وابتغاء الحلال وعدم الاعتداء على أموال الغير وغيرها من الجرائم المدعاة والمنسوبة ظلماً وزوراً إلى المجاهدين.

إن الأنظمة الحاكمة المرتدة تعتبر أنظمة محاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهي تستمد شرعيتها وقوتها من الاحتلال الكافر الذي يمتص خيراتنا كما أسلفنا القول، وعليه فإن كل المؤسسات

---

[1] حديث صحيح – صحيح الجامع رقم ٢٨٣١

الاقتصادية لهذه الأنظمة تعتبر أهدافاً مشروعة وحلالاً طيباً للمجاهدين ينبغي الاجتهاد في كيفية تقويضها لإضعاف هذه الأنظمة أو غنمها لتقوية شوكة الجهاد.

وفي هذا المجال ينبغي على المجاهدين وبخاصة قياداتهم أن يُعمِلوا عقولهم للبحث عن الوسائل المناسبة لجعل الغنائم إحدى أهم مصادر التمويل للمشروع الجهادي، وأن لا يخجلوا أبداً من طرح هذا الفقه المهجور وإحيائه في النفوس لكي تعود القوة والشوكة للمجاهدين.

ولنسحب البساط من تحت أقدام العدو فنبادر إلى الاستيلاء على أموال المسلمين واستغلال خيرات بلداننا لتخدم الجهاد بدلاً من أن تُقدم رخيصة لليهود والصليبيين في الخارج ولأنظمتنا المرتدة في الداخل.

النفقة في العسر واليسر

ينبغي علينا أن ننظر إلى مفهوم النفقة بشموليته، فهو لا يتعلق فقط بالمال،– كما قد يتبادر إلى الأذهان–، بل لابد من إنفاق كل ما يملك المسلم في سبيل الله، أو بالتعبير القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة] .
فأنت مطالب أيها المسلم بأن تنفق كل ما وهبك الله من رزق ولا تبخل به إن كنت صادقاً في انتمائك لهذا الدين، لأنك إنما تبخل على نفسك، وإذا أنفقت فستجد ذلك عند الله، فلمَ البخل؟

فالنفقة تنجي صاحبها من التهلكة بدليل قوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ .

روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، عن أسلم أبي عمران، قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فنزل فينا ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. [رواه أبو داود والترمذي والنسائي].

أقول: انظروا كيف ذمَّ الله تعالى أناساً قد أقاموا دولة الإسلام بأموالهم ودمائهم، فأرادوا القعود مع الأهل والمال، بعد ما ظنوا أنهم قد قاموا بما عليهم من واجب، فماذا نقول في أمتنا التي بخلت على دينها في وقت تكالب عليها الأعداء، وغابت فيها شرائع الإسلام وحلَّ محلها الكفر والردة والنفاق؟

وتتطلب مرحلة الدعوة أيضاً إنفاق المال وهو أعلى مرتبة من الوقت من حيث الأهمية، فكثير من الناس يستطيعون إنفاق أوقاتهم في سبيل الدين، ولكنهم يبخلون بالمال، ومن أجل ذلك ذكره الله تعالى في جميع آيات الجهاد قبل النفس مباشرة، باستثناء آية البيعة حيث قُدِّمت النفس على المال وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾

فالذي لا يستطيع أن ينفق ماله في سبيل الله، من باب أولى لن يستطيع تقديم نفسه في سبيل نصرة دين الله، ومن أجل هذا لا بد للمؤمن أن يدرِّب نفسه ويعوِّدها من أجل الجود بالمال لتصل إلى الجود بالنفس، وهو أعلى مراتب الجود .

أما في مرحلة الجهاد، فإن النفقة تفرض نفسها أكثر، سواء على مستوى الوقت أو المال أو الأهل أو المناصب أو النفس وهي غاية الجود .

فبالنسبة لعنصر الوقت فإن المجاهد يتفرغ كلياً للجهاد، ولا يترك شيئاً من وقته للمسائل الأخرى إلا ما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بجهاده، فحياته تتحول إلى جندية حقيقية، تراه حاضراً باستمرار في كل مواقع الجهاد، لا يغادر موقعه إلا بأمر من قيادته حتى لا يؤتى الإسلام من قبله، فالثغرة التي نستهين بها هي التي يمكن أن يدخل منها العدو، فيوقع فينا الخسائر الفادحة التي يمكن أن تهدم البنيان .

أما على مستوى المال، فإن المجاهد يساهم بماله في الجهاد ويسعى دوماً إلى تغطية متطلبات جهاده وجهاد غيره، كما أنه يساهم في البحث عن كل السبل الشرعية للحصول على الموارد المالية للتجمع الإيماني الذي ينتمي إليه، حتى لا يتوقف الجهاد، لأنه يدرك أن المال هو عصب العمل الجهادي، وبدونه لا يمكن التقدم وتحقيق أهدافه .
ومن هنا ترى المجاهد المخلص والصادق في جهاده يحس بالحرج والضيق حينما لا يجد ما ينفقه في سبيل الله، ويخاف من أن يقعده هذا النقص عن واجبات الجهاد فيكون من القاعدين .

ومن أنواع النفقة في مرحلة الجهاد أيضاً، هو إمكانية فقدان الأهل والولد في سبيل الله تعالى، وذلك حينما يكون المجاهد مخيراً بينهم وبين ترك الجهاد والركون إلى الدنيا في مقابل الحفاظ عليهم، سواء بسبب رفض أهله مواصلة الجهاد معه، أو بسبب الضغوط والمساومات التي يتعرض لها من قبل الأعداء حيث يخيرونه بين ترك الجهاد وبين التضحية بأهله وولده، فلا يكون خياره حينئذ إلا مواصلة الجهاد والنفقة بأهله قرباناً إلى الله تعالى إما بالاستشهاد أو التهجير.
وقد عاش الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضاً من هذه الصور عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، حيث حرمهم المشركون من أهليهم وأولادهم، وعاشها الكثير من المجاهدين في العصور التالية، وها نحن نرى نماذج أخرى في هذا العصر حيث قدَّم المجاهدون أمثلة

رائعة في النفقة والتضحية بأهليهم وذويهم في مقابل مواصلة درب الجهاد والصمود، فللّه درُّهم .

النفقة في العسر هي المحك، فهنا تظهر حقيقة الإيمان والالتزام، لأنه ما أسهل أن ينفق المرء في حالات اليسر، وما أسهل أن يدّعي المرء الشجاعة والكرم والجود في حالات الرخاء والفراغ، ولكن القليل من يوفِّي ويصدق في دعواه حينما تشتد المحن ويقل الزاد وينادي منادي الجهاد .

أما خلال المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الدولة، فإن النفقة ينبغي أن تستمر على جميع المستويات، وتأخذ أشكالاً أكثر تنظيماً، حيث يتكلف النظام الحاكم في الدولة المسلمة بتشكيل فرق مختصة في كل مجال من مجالات الدعوة، ولكن تبقى الرعية مسؤولة وتساهم بكل ما تملك في سبيل نشر هذا الدين والحفاظ على بيضته، ويكون الجميع مدعواً إلى النفقة في اليسر والعسر أكثر مما كان الشأن في مرحلة الدعوة والجهاد، لأن الأساس ليس إقامة دولة التوحيد فحسب، إنما الأهم هو الحفاظ على استمراريتها والتصدي لكل مخططات الأعداء الذين يسعون إلى هدم معالمها وإزالة كيانها، فمن باب أولى أن تستمر عملية النفقة بوتيرة أكبر وأسرع .

أنظروا كيف تعامل الأنصار مع بنود هذه البيعة عند أول امتحان لهم على أرض الواقع، وذلك عندما هاجر إليهم إخوانهم من مكة، فطلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتآخوا في الله أخوين أخوين، فاستجابوا لهذا النداء النبوي وزيادة، حيث قسموا أموالهم وبيوتهم نصفين مع إخوانهم المهاجرين، بل منهم من طلب من أخيه المهاجر أن يختار إحدى زوجتيه ليطلقها فيتزوجها أخوه (يتعلق الأمر بسعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما).

وصور أخرى فريدة من نفقة الأموال والأنفس في الغزوات تعج بها كتب السيرة، لولا خوفي من الإطالة لذكرت العشرات منها، وكان الصحابي يأتي ليجاهد فلا يجد ما ينفقه في سبيل الله فيرجع باكياً متحسراً ألا يستطيع الخروج مع الجيش، ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة ٩٣].

وبعد،

إذا ألقينا نظرة فاحصة على واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، فإننا نجد صنفين أساسين لا ثالث لهما، صنف يسير وفق بنود بيعة العقبة، خاصة البندين سالفي الذكر (الطاعة والنفقة)، حيث نجد أفرادها يلتزمون بهما ويجسدانهما خير تجسيد، ومن أجل هذا نجحت وتقدمت في مسيرتها الجهادية وأصبحت تهدد وتخيف العالم الكافر وأعوانه من المرتدين والمنافقين، وتحولت إلى شوكة في حلوقهم لن تزول حتى تحقق أهدافها بإذن الله

والصنف الثاني انحرف عن هذه البيعة ولم يحقق بنودها كما يجب، خاصة في مسألة النفقة، حيث اتخذوا هذا الدين حرفة ثانوية، واتخذوه سلماً للوصول إلى مآربهم الشخصية وبقرة حلوباً يقتاتون منها، فتأخرت مسيرتهم وحادوا عن الطريق الصحيح، واندحرت حركتهم وبقيت تدور حول نفسها بالرغم من كثرة أفرادها.

وقد تنبه الأعداء إلى هذه الثغرة الكبيرة في صفوف الحركات الإسلامية، فحاولوا اللعب على هذا الوتر الحساس وروَّضوا المسلمين على حب المناصب والارتباط بها، وأوهموهم بأنها وسائل ناجعة لخدمة الدين، فتحولت هذه الوسائل إلى أهداف وغايات لدى أصحابها، حتى نسوا الغايات الحقيقية، وعز عليهم التفريط والنفقة بهذه الوسائل، وزهدوا في دينهم وزين لهم الشيطان أعمالهم وأضلهم عن السبيل.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على تحمل مسؤولياتنا وتجسيد بند النفقة في سبيل الله في اليسر والعسر، بأوقاتنا وأهلينا ومساكننا ومناصبنا وتجارتنا وأنفسنا، ويجعل كل هذا وسائل لخدمة ديننا، لا أهداف في حد ذاتها، كما نسأله عز وجل أن يعيننا على تطبيق قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة ٢٤ .].

كتبه إيماناً واحتساباً: أبو سعد العاملي.

مع تحيات إخوانكم في :

مؤسسة  الإعلامية

ادعوا لإخوانكم

